العرب
الأربعاء 2019/07/31
السنة 42 العدد 11424

الذكرى الثالثة لرحيل مخرج البسطاء تستعيد وجه مصر فنيا واجتماعيا وسياسيا

حياة محمد خان وأفلامه السينمائية في معرض للصور الفوتوغرافية النادرة

في الاحتفال بعيد ميلاد عاطف الطيب خلال تصوير فيلم «الحريف» للمخرج محمد خان

لقطة مباغتة مع فاروق الفيشاوي وأبطال فيلم «مشوار عمر»

محمد خان مهيمنا على تصوير فيلم «أيام السادات» من بطولة أحمد زكي

تحوّلت الذكرى الثالثة لوفاة المخرج السينمائي محمد خان عاشق شوارع القاهرة وصاحب كاميرا البسطاء إلى معرض فوتوغرافي للصور الخاصة النادرة خلال الفترة من 27 إلى 31 يوليو الجاري، والتي رسمت محطات حياته وملامح شخصيته وكواليس أعماله الفنية.

شريف الشافعي
كاتب مصري

القاهرة – على نهج المصداقية والحميمية، جاءت سينما المخرج المصري الراحل محمد خان، الذي تذكرته القاهرة بمعرض فريد عن حياته وأعماله، وهو هدية من صديق عمره مدير التصوير سعيد شيمي.

استحق المخرج محمد خان (أكتوبر 1942– يوليو 2016) أن يحظى بألقاب عاشق البشر وصديق البسطاء وسارد المدينة، فهو ذلك الفنان والإنسان البسيط، الذي دأب على اصطحاب الكاميرا إلى الشوارع حيثما ذهب، مسجلا أفلاما من تجارب الناس، محصّنة ضد النسيان.

إن الذي راهن عليه خان ومارسه في حياته، وقدّمه في 24 فيلما سينمائيا، تجلى واضحا في معرض صوره الفوتوغرافية المتنوعة في غاليري "لمسات" بالقاهرة، حيث ذابت الفواصل بين الواقع والفن، والحقيقة والخيال، والأصدقاء وأبطال الأفلام، وانصهر كل ما يخص خان من كواليس وتفاصيل صغيرة في بوتقة واحدة تدل عليه، كصاحب بصمات منفردة، ورؤية طليعية متطورة.

جرأة محمد خان وتحلّيه بروح المغامرة في فنه واقتحامه أجواء غير تقليدية واستعماله حِرَفا وتقنيات سينمائية جديدة تنبئ على تفجير الصورة والصوت ديناميكيا وانفعاليا، هي كلها عناصر ومفردات لا يمكن عزلها عن طبيعته الذاتية كمتمرد على النمطية والأوضاع البالية، وهو ما قاده إلى مشاركة الشباب في ثورة 25 يناير 2011، بالتوازي مع تقديمه لأفلام انتقدت أوضاعا اجتماعية واقتصادية وسياسية.

ومن أجواء معرض صور محمد خان، الذي حصل على الجنسية المصرية في 2014، لقطة يتطلع فيها باسما من ميدان التحرير في فبراير 2011، وسط المعتصمين، وأخرى في مقهى "زهرة البستان" في يونيو من العام ذاته حاملا لافتة عليها عبارات تقول "الثورة لسه ما خلصتش، الثورة في الميدان. أنا نازل أحمي ثورة 25 يناير. متعبناش متعبناش، الثورة مش ببلاش".

وتعددت اللقطات التعبيرية الخاطفة والمباغتة التي رصدت لحظات تلقائية متنوعة في حياة محمد خان، ابن حي السكاكيني الشعبي بالقاهرة لأب باكستاني وأم مصرية، وكثير من هذه الصور في الشوارع والميادين التي يعشقها، وبين تيارات البشر، وفي "كابينة" العرض التي يراقب فيها بث أفلامه، وفي أثناء تصوير أعماله، ومع أصدقائه ورفقاء مهنته وأبطال أفلامه في جلسات عامة ومناسبات خاصة.

جاء معرض محمد خان شاهدا على تصالح الإنسان والفنان معا، فمن عيد ميلاد المخرج عاطف الطيب في أثناء تصوير فيلم "الحريف" لصديقه خان (1984) بمصاحبة عادل إمام وأبطال الفيلم، إلى لحظة تأمل عاشها خان في مكتبة الأفلام بمنزله، إلى مهرجان فالنسيا بإسبانيا في عام 1989 بحضور خان وأمير العمري وعطيات الأبنودي وعاطف الطيب، وصولا إلى لقطة طريفة جمعت محمد خان بـ"أبلة فاهيتا"، الشخصية الكارتونية الساخرة، المثيرة للجدل.

نشاط خان السينمائي، بجموحه وتمرده وثوريته، من أبرز ملامح المعرض الفوتوغرافي، الممتد منذ فيلمه الأول "ضربة شمس" (1980)، حتى آخر أفلامه "قبل زحمة الصيف" (2016)، مرورا بأعماله البارزة ذائعة الصيت، وعلى رأسها: "زوجة رجل مهم"، "مستر كاراتيه"، "أيام السادات"، "فتاة المصنع"، "مشوار عمر"، "طائر على الطريق"، "أحلام هند وكاميليا"، "موعد على العشاء"، "في شقة مصر الجديدة"، "فارس المدينة" وغيرها.

محمد خان، هو ابن جماعة الأصدقاء المخالطين، وجماعة الفنانين، وجماعة الناس عموما ممن عبّر عنهم فنيا، وهو ما أظهره المعرض بوضوح، إذ زادت الصور الجماعية لخان على اللقطات الفردية. واستعادت الذاكرة من خلال المعرض الفوتوغرافي "جماعة أفلام الصحبة"، التي أسّسها خان مع سعيد شيمي وبشير الديك ونادية شكري وخيري بشارة وعاطف الطيب وداود عبدالسيد، وهي جماعة سينمائية ضمت أصدقاء تربطهم الألفة والمحبة والقضايا والهموم الإنسانية والفنية المشتركة، ومن ثمراتها فيلم "الحريف" الذي لعب بطولته عادل إمام وفردوس عبدالحميد، ومثل اتجاها جديدا في ثمانينات القرن الماضي يسلط الضوء على حياة المعدمين في المناطق شديدة الفقر.

> **معرض محمد خان، إطلالة عفوية من نافذة الكاميرا على حياة تشبه الفن، وفن يشبه الحياة، وأعمال رأى فيها المشاهدون أنفسهم بواقعية وصدق**

وخاض خان غمار الفيلم السياسي في أكثر من تجربة، منها "زوجة رجل مهم" (1988)، من بطولة أحمد زكي وميرفت أمين، الذي عرّى فيه توغّل القبضة الأمنية والسلطة البوليسية في عهد الرئيس الراحل أنور السادات، حيث انفلتت الأمور في البلاد وحدثت مظاهرات واضطرابات في يناير 1977، أعقبتها حملة اعتقالات واسعة لقوى المعارضة.

عكست كادرات معرض "لمسات"، المقتربة من الوجوه وملامحها الدقيقة، فلسفة كاميرا خان، التي عنيت بالتفاصيل والانفعالات الإنسانية الناجمة عن القضايا.

معرض محمد خان، إطلالة عفوية من نافذة الكاميرا على حياة تشبه الفن، وفن يشبه الحياة، وأعمال رأى فيها المشاهدون أنفسهم بواقعية وصدق.

كيفن سبيسي بريء قضائيا لكنه مذنب في الصحافة

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

كان من المثير للدهشة بل للصدمة، أن يخضع الممثل كيفن سبيسي للمحاكمة بتهمة التحرش والاعتداء الجنسي بعد أن اتهمه ممثل شاب يدعى أنتوني راب بالاعتداء عليه خلال حفل عندما كان في الرابعة عشرة من عمره، أي في منتصف الثمانينات.

ثم كان من المدهش أيضا أن يبادر سبيسي الذي بلغ القمة بعد أن تألق في بطولة فيلم "مشتبهون عاديون" ثم في المسلسل التلفزيوني الشهير "دار الألعاب" House of Cards ليعتذر عن فعلته، ثم يعترف علانية للمرة الأولى بأنه "مثلي"، قبل أن يظهر رجل آخر يتهمه بجذبه من جسده بطريقة غير لائقة داخل مشرب في 2016، عندما كان هذا الشخص في الثامنة عشرة من عمره في مقصف. لم يكن هناك تحرش أو اعتداء بل مجرد تلامس ما.

إلاّ أن هذا كان كافيا لكي تقوم القيامة ولا تقعد. لماذا؟ لأن هذه الاتهامات ظهرت فقط في أعقاب الضجة الكبرى التي أحاطت بما وجه من اتهامات إلى قطب كبير من أقطاب صناعة السينما في هوليوود هو المنتج الشهير هارفي ونستين مؤسس شركة "ميراماكس" التي قدمت للعالم عددا من أفضل الأفلام خلال العشرين عاما الماضية.

المهم أن الأمر وصل إلى القضاء. وعوقب كيفن سبيسي من قبل هوليوود بأن أوقفت التعامل معه، بل إن المخرج ريدلي سكوت قام باستبعاد دوره بالكامل من فيلم "كل مال الدنيا" وأعاد تصوير جميع المشاهد التي يظهر فيها بعد أن كان الفيلم قد أصبح جاهزا للعرض، واستعان بممثل آخر هو كريستوفر لي للقيام بدور سبيسي، في سابقة هي الأولى من نوعها في تاريخ السينما على حد معرفتي. ومن ناحيتها استبعدت شبكة "نتفليكس" منتجة مسلسل "دار الألعاب"، ظهوره في المسلسل الذي ارتبط من البداية باسمه!

أصبح هذا كله معروفا الآن. لكن ما حدث مؤخرا هو أن القضاء الأميركي أسقط التهمة التي كان قد خضع كيفن سبيسي للمحاكمة بشأنها، ولم يعد بالتالي مطلوبا أمام القضاء في اتهامات جنسية في الولايات المتحدة، وإن ظل ملاحقا باتهامات أخرى مماثلة يتم التحقيق فيها حاليا في بريطانيا.

ورغم ذلك، كان من المدهش أن تنبري مجلة "فاريتي" الأميركية المتخصصة في الصناعة السينمائية (تأسّست عام 1905) وتكتب في افتتاحيتها مؤخرا، تطالب باستمرار مقاطعة الممثل الكبير، وهي المجلة التي يفترض أن تدافع عمّن صنعوا تاريخ السينما طالما لم تثبت عليهم قضائيا أي تهم ممّا وجهت إليهم بعد. فما هو السبب أو المبرّر؟

تقول الصحيفة "إن إفلات سبيسي من المحاكمة نتيجة أخطاء في الإجراءات سيجعل أقارب وأصدقاء كل من تعرضوا للتحرش الجنسي يشعرون بخيبة الأمل بخصوص النظام القضائي الأميركي. لذلك لا يجب التعامل مجددا مع كل من حامت حولهم الشكوك بإجماع عدد كبير من الآراء، بارتكاب أفعال مشينة". وهذا في الحقيقة أغرب وأعجب ما يمكن أن يقرأه المرء من صحيفة يفترض أنها تتمتع بسمعة خاصة مرموقة في الأوساط السينمائية، فهل الإدانة تقع بالشبهات وطبقا لما يتقوّل به البعض؟!

تعترف "فاريتي" بأنه من حق من يرغبون في التعامل مجددا مع كيفن سبيسي أن يتعاملوا معه (شكرا لفاريتي طبعا). إلاّ أنها تحذّر وتنذر وتقول إنه يتعين على سبيسي أولا أن يبذل جهودا حقيقية لنفي الاتهامات الموجهة إليه ولا يكتفي بإزاحتها بعيدا عنه. ولكنها تضيف بثقة "ولكن دعونا نكن صرحاء. عند هذا الحد، وآخذين في الاعتبار حجم المزاعم الموجهة ضده، المؤكد أنه لن يتمكن"!

هذا القطع في الحكم يثير التساؤل عن مصلحة مجلة تمثل صناعة السينما في هوليوود في هدم طاقة فنية وموهبة حقيقية مثل موهبة كيفن سبيسي؟ ولماذا لم يكن هذا على سبيل المثال موقف "فاريتي" من موهبة أخرى أميركية وأقصد حالة المخرج الشهير وودي آلين؟

> **شبكة «نتفليكس» منتجة مسلسل «دار الألعاب» استبعدت ظهور كيفن سبيسي في المسلسل الذي ارتبط من البداية باسمه!**

وودي آلين نجح أخيرا في العثور على شركة إسبانية تقبل توزيع فيلمه الجديد "يوم مطير في نيويورك"، بعد أن كانت شركة "أمازون" التي أنتجت الفيلم قد رفضت عرضه بسبب المقالات الصحافية التي نشرتها ابنة وودي آلين بالتبني تتهمه فيها اتهامات مشينة، تقول إنها حدثت عندما كانت طفلة. وهي اتهامات متكرّرة سبق أن نفاها آلين وسبق أن عجزت التحقيقات الأولية عن إثباتها، ولذلك لم يتم قط تقديم وودي آلين أمام القضاء.

ومع ذلك هناك حملة مستعرة في الإعلام لهدمه، كما وصلت الضغوط حاليا إلى مهرجان فينيسيا الذي سيقيم دورته الـ76 الشهر القادم، بهدف منع المهرجان من عرض الفيلم الجديد الموقوف واستضافة مخرجه.

الواضح أننا نعيش عصر "مطاردة ساحرات" شبيه بما كان يجري في القرون الوسطى في أوروبا "المسيحية" قبل أن تخرج من عصور الظلام إلى النور. فإلى متى تستمر هذه الحملة؟ وهل ستمضي لكي تدمر أقدم وأكبر صناعة سينمائية في العالم؟

البريء المُدان